سلسلة رسائل العين

الرسالة السابعة

تقويم الـــذات

الدكتور

عادل عبد الله الليلى الشويخ

حقوق الطبع محفوظة

لدار المنطلق ـ دبى

ولدار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية

طبعة خاصة بـ

دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية

دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية

عمان ٣٣ ش الشهيد عادل الرواوي ـ أمام كلية التربية الرياضية

ت ٣٢٢٤٠٤ ـ فاكس ٣٣١٨٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

★★ إنه خيط من ضوء ، يمثل عينة مقتبسة من أعماق الروح ، ترسله رغبة التقويم ، لتجرى عليه عملية التحليل ..

★★ فيشق الضوء ط ريقه فى ظلمات الخفاء والأسرار الدفينة ..

★★ فيلتقطه موشور الصراحة القلبية قبل وصوله إلى مرآة آراء الناس ، ويرى أنه أولى منهم ، وبالمهمة أجدر ، وعليها أقدر ، فيعكس الومضة المبتعثة ، فيحللها إلي ألوان الطيف النفسى ، ويكشف عن المكنون ...

★★ فتعكسها ثانية عدسة النقد الذاتى المقعرة ، ولا تسمح بتبديدها في تيه اللانهاية ...

★★ فتنتصب الصورة الفردية قائمة ...

★★ فإن كانت لثقة : فستكون شامخة ...

★★ وتلك هى صورة الغلاف التى صممها وجمع إشاراتها : محمد أحمد الراشد ...

تقـــويم الـــذات

قد يضطر الداعية فرداً كان أو مسؤولاً للحديث عن نفسه جرحاً أو تعديلاً ، ويتباين حجم هذا الحديث من شخص لآخر ، كما يختلف خفة وجنوحاً ، وتختلف الدوافع له ، فقد يتحوّل من التواضع الملازم لنقد الشخص نفسه إلى التكلف ، ومن المدح التعريفى إلي الغرور المذموم ، وتتباين استجابة الآخرين كذلك لكل من الذم والمدح معاً ، ما بين مصدق ومكذب ، أو بين راض مشارك أو رافض مناكف ، وما بين مستمع معجب ، أو ساكت على مضض ، وبالتالى فإن عملية التقويم قد تكون نافعة فى بعض الأحيان ، ولكنها مضرة في معظم الأحايين ، وقد يلجأ إليها الداعية أحياناً ، ـ دونما شعور بالضرر ـ مما يؤدى إلى تصاغره فى أعين إخوانه ، وقد يبرر البعض لأنفسهم عذراً ، بينما تكون قاصمة لظهره عند غيره .

ومن جهه أخرى ، قد يلجأ الداعية الأمير أو المربى لتبيان نفسه بالحق ،بالخير الذى عنده ، ووفق موازين شرعية صحيحة ، ولكن

قصور الفهم عند غيره ، وعدم إدراكهم لأدلة المدح الشرعية أو الموازنة بين المصالح يسبب إعابة لقوله الصحيح ، وقد يؤدى إلي أن يلجأ البعض إلي النقد والتجريح ، والبعض إلي الثناء والمديح ، ولما بينهما من بون في التقويم تحصل القالة ، وقد تتطور إلي فتنة بعد غيبةٍ ونجوى.

إن حصول هذه الظاهرة وسط الجماعة المؤمنة ، تقود إلى ضرورة بيانها كمفهوم تربوى ، يحتاجه القدماء كحاجة الجدد ، ولا بد من إيضاح أدلته الشرعية ، ووضع الموازين الضابطة له ، التى تخدم الأهداف ، وتقى مواطن الزلل ، ومكامن الخلل .

★ الواثق ... اللوّام ★

● يتميّز تقويم الداعية لنفسه بأحد أمرين ، أولهما : نقد ذاته ، وتجريح نفسه ، ولومها أمام الناس ، بل والحديث عن نقائصه ، وذنوبه ، ومحاولة إبداء التواضع باتهام نفسه بالعبارات القاسية، وإضافة خصائص النقص لذاته ، وهذا مما لا يجوز شرعاً فقد قال رسول الله ﷺ :

« لا يقولن أحدكم خبثت نفسى ، ولكن ليقل :لَقِسَت نفسى »(١)

مما يدل على كراهية مثل هذه الأقوال ، وهي ليست من التواضع - وإن كان صاحبها صادقاً - لما فى ذلك من أثر تربوي علي النفس في إضافتها للصفات القبيحة ، وفى هذا الحديث :

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

(أن المرء يطلب الخير حتي بالفأل الحسن ، ويضيف الخير إلى نفسه ولو بنسبة ما ، ويدفع الشر عن نفسه ما أمكن ، ويقطع الوصلة بينه وبين أهل الشر حتي في الألفاظ المشتركة ... ويلتحق بهذا أن الضعيف إذ سئل عن حاله ، لا يقول : لست بطيب ، بل يقول : ضعيف) [1] .

أمّا إذا كان نقد النفس يحمل بين طياته نيّة فاسدة كمحاولة إظهار فضل النفس وتواضعها ، وابتعادها عن المدح والثناء ، أو لاستجلاب المدح بطريقة ملتوية ، فالأمر أقبح وأسوأ ، وهو من الرياء المبطن ، والتكلف المذموم ، والتفاخر المغلف .

ومما ورد في ذلك :

قول الحسن : (ذم الرجل نفسه في العلانية ، مدح لها في السر)

وكان يقال : (من أظهر عيب نفسه فقد زكاها) [2] .

● وقد يحصل أحياناً أن ينقد المرء نفسه حتى ينسحب من تكليف ، أو نتيجة ضعف ثقة بالنفس ، أو أن الشيطان يزيّن له الأمر ويأتى له عن طريق التقوى والإيمان ليبعده عن فعل الخير ، كما قد ينقد نفر آخر أنفسهم من أجل أن ينكر عليهم المقابل هذا النقد ، فيأخذ الذام لنفسه بالمفهوم المضاد فيفرح طرباً حيث استجلب لنفسه المدح المبطن

---

(١) فتح البارى . ١ / ٥٦٤ .

(٢) عيون الأخبار / ٢٧٥ .

عن طريق ملتو ، أمّا إذا أراد الإنسان معاتبة نفسه ، ورد كيد الشيطان ، ومحاسبة ذاته فهذا كله شيء حسن ، ولا بد للمؤمن منه ، ولكن بشرط أن يفعله ما بينه وبين الله تعالي ، وإلا تحول إلى نوع من الغرور حتى يقع في تلبيس الشيطان ، ويتحول من غرور إلى آخر ، بل هذه المحاسبة الحقة ، وفيها رد لكيد الشيطان ، ومجانبة للرياء الخفى ، والمحاسبة لابد منها لصدق المراقبة ، ومن حاسب نفسه فى الدنيا ، خف يوم القيامة حسابه ، وحسن منقلبه ، ومن أهمل المحاسبة دامت جسراته ، وهذه المحاسبة تكون بعد العمل ومع النفس .

قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله، ولتنظر نفس ما قدمت لغد** ﴾(١) .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا) .

وقال الحسن رضى الله عنه : (المؤمن قوّام علي نفسه ، يحاسب نفسه)(٢) .

● ومن مقتضيات المحاسبة الشرعية توبيخ النفس ومعاتبتها وذمها ، لتقويمها وقودها لعبادة ربها ، ومنعها عن شهواتها ، وفطامها عن لذاتها ، فقد خلقت النفس أمّارة بالسوء . فهذا النقد للنفس والمعاتبة في

---

(١) الحشر / ١٨ .

(٢) إحياء علوم الدين ٤ / ٤٠٤ .

الخلوات هو المطلوب ، ويزداد عز المؤمن ، وتطمئن نفسه بزيادة المعاتبة لها ، واستصغار عمله أمام الباري عز وجل ، فالنفس :

(إن لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة ، كانت نفسك هى النفس اللوامة التي أقسم الله بها ، ورجوت أن تصير النفس المطمئنة المدعوة إلي أن تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية ، فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها ، ولا تشتغلن بوعظ غيرك ما لم تشتغل بوعظ نفسك .....) [1] .

****

★ مِفصل التزكية يُشَعّبُ طرق التردية ★

● لقد سبق الحديث عن ذم الإنسان لنفسه فى خلوته وأمام غيره ، والحكم فيها ... أما مدح الإنسان لنفسه فالأصل فيه عدم الجواز ، وعليه مدار ذم أمراض القلوب ، وعلى ذلك جرت سُنّة الخلفاء الراشدين العامة والصحابة ، وعلى هذا المنوال سار السّلف الصالح ، استناداً إلى قوله تعالي :

قوله : ﴿ **فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى** ﴾ [2]

وقوله : ﴿ **ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم ، بل الله يزكى من**

---

(١) إحياء علوم الدين ٤ / ٤١٦ .

(٢) النجم / ٣٢ .

يشاء ولا يظلمون فتيلا ﴾ [1] .

سواءً كان المدح مع نفسه ، وهو ما يسمى بالعجب أو الغرور ، أو أمام غيره من الناس ، وهو المقصود هنا . وعلة الكراهيّة فيه أو عدم الجواز أنه مظهر من مظاهر عيوب القلب غالباً ، ويعكس مدح النفس والمبالغة بإطرائها مجموعة من أمراض القلوب ، بل وقد يقود إليها ، ومنها:

(١) الرياء وحب الجاه والرئاسة :

إذ يغلبُ ذلك على قلب الضعيف ، فيقصر همّه على طلب المديح ، فإذا افتقده : طلب ذلك بنفسه مراعاة للخَلق ، ولشغفه بإبراز ذاته ، وإظهار حاله ، كى تعظم منزلته في عيون الآخرين ، وفى ذلك مظهر من مظاهر النفاق ، والشهوة الخفية ، وقد يضطر إلى المماراة ، واقتحام المحظور حتي يتوصل إلى اقتناص القلوب .

(٢) الكِبْر :

إذ هو خلق باطن تظهر ثمرته على الجوارح ، وفيه يري المرء نفسه أعلى من غيره بصفات الكمال ، ولا يقدر على التواضع ، ويقوده إلى الغضب لنفسه ، ولا يكظم الغيظ ، ولا يقبل النصح ، فتظهر هذه الخصائص بأشكال متعددة ، منها : أن يظهر الكِبْر على لسانه بالدعاوى

---

(١) النساء / ٤٩ .

والمفاخر والمديح ، وتزكية النفس ، وحكايات الأحوال فى معرض المفاخرة لغيره ، ومدح النفس بالعلم والعبادة ، أو بالذكاء والتجربة ، أو بالأخلاق والنسب .

(٣) العُجْب :

وهو أحد أسباب الكبر وقائد إليه ، فقد لا يصل الإنسان إلى مرحلة التكبر على غيره ، ولكنه معجب بنفسه ، ينظرإليها بعين الرضا، يركز على محاسنه ، وينسى المساوئ ، ويظن أن ما عنده من نعم كبيرة إنما أوتيها على علم منه ، إلى الحد الذى ينسى أنها من فضل الله تعالى ، وذلك هو ظن قارون الذى أرداه ، بل يظن أنه ظفر بكل ما يريد ، حتى يرى الصغير فى نفسه كبيرا ، بل قد يستعظم طاعته وكأنه يمن على الله تعالى وعلى الإسلام بعمله أو قوله .

(٤) الغرور :

وهى آفة أخرى تظهر على شكل مديح النفس ، من أجل إظهار مخايل الكبر والرئاسة ، ويبرر المدح بطلب عز الدين ، وإظهار شرف العلم وإرغام أهل البدع والمعصية ، وقد يدعى أنه يمدح نفسه ليقتدى الناس به بالعلم والعمل ، أو أنه يشفع في جلب مصلحة أو لدفع ضرر ، وغير ذلك مما يلبس عليه الشيطان ، فيفقده حسن النية ، ويكون باعثه طلب الذكر وانتشار الصيت .

(٥) الحقد والحسد :

وهما من بواعث مدح الذات ، إذ أنهما يقودان إلى غليان القلب ، وطلب الانتقام ، كي لا يحمل سكوته أو عدم مدحه لذاته أنه عاجز ، أو يحمل منه على الذله والمهانة ، أو خوفاً من استصغار الناس له فتلازم النفس عداوة ، فيغلب على صاحبها حب الثناء ، ويستفزه الفرح بما يمدح به .

وواحدة من هذه العلل كافية لرفض مدح الذات ، والتبرؤ من إطراء النفس ، فكيف بها إذا اجتمعت ؟ ولقد تكاثرت النصوص واستفاضت فى كراهية هذا الأمر ، مما يستغنى عن الاستفاضة في الحديث عنه .

★ المصالح منزلةُ الممالح ★

● ولكن يُستثنى من هذا الأصل فى عدم جواز مدح النفس حالات يجوز فيها المدح ، بل ويستحب أحياناً ، ويصل - فى بعض الأحيان - إلى درجة الوجوب ، وهذا الاستثناء محدد بضوابط وحدود يجمعها عامل المصلحة الشرعية ، وبعض العلماء لم يأذن بمبدأ الاستثناء من الأصل ، وإنما اعتبر مدح الذات على نوعين محمود ومذموم ، ومنهم الإمام النووى حيث قال :

(اعلم أن ذكر محاسن نفسه ضربان : مذموم ، ومحبوب ...

فالمذموم : أن يذكره للافتخار وإظهار الارتفاع ، والتميز علي الأقران ، وشبه ذلك .

والمحبوب : أن يكون فيه مصلحة دينية ، .....) [1] .

ولا مشاحة فى التقسيم فالنتيجة واحدة .

ومن أجل تبيان جواز المدح نذكر بعض الأدلة والشواهد التى تدل على الجواز ابتداءً ، كما أنها توضح المواطن التى يجوز فيها المدح .

- منها : قول النبى صلى الله عليه وسلم يوم حنين :

« أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب »[2] .

(وفيه جواز الانتساب إلى الآباء ولو ماتوا في الجاهلية . والنهى عن ذلك محمول على ما هو خارج الحرب ، ومثله الرخصة فى الخيلاء فى الحرب دون غيرها ... وفيه شهرة الرئيس نفسه فى الحرب مبالغة فى الشجاعة ، وعدم المبالاة بالعدو) [3] .

ورغم وضوح الاستدلال ، وتخصيص هذا الأمر بالحرب ، ففى غيره من الأحاديث سعة ، فلقد جاء فى هذا المعنى أحاديث كثيرة منها :

---

(١) الأذكار / ٢٣٨ .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) فتح البارى ٨ / ٣٢ .

« أنا سيد ولد آدم » ، « أنا أعلمكم بالله وأتقاكم » ، « أنا أحق من وفّى بذمته » ، « أنا أفصح العرب » ، « أنا أكثر الأنبياء تبيعاً يوم القيامة » ، « أنا حبيب الله ولا فخر » .

وجميعها تدل على جواز المدح في الحرب وغيره .

● وأقوال الصحابة كثيرة جداً .. منها :

مدح عثمان رضى الله عنه لنفسه حيث قال محاججاً من ثار عليه وتربّص به :

(.. ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : من حفر بئر رومة فله الجنة ، فحفرتها ؟ ألستم تعلمون أنه قال : من جهز جيش العسرة فله الجنة ، فجهزتها ؟) فصدّقوه بما قال ....

وهو جزء من حديث طويل ، قال فى شرحه ابن حجر ـ رحمه الله ـ :

(وفيها جواز تحدث الرجل بما فيه عند الاحتياج إلى ذلك لدفع مضرة أو تحصيل منفعة ، وإنما يكره ذلك عند المفاخرة والمكاثرة والعجب) [1] .

ـ ومدح ابن مسعود رضى الله عنه نفسه فقال :

---

(١) فتح البارى ٥ / ٤٠٨ .

(... والله لقد علم أصحاب رسول الله ﷺ أنى من أعلمهم بكتاب الله تعالى ، وما أنا بخيرهم ...) .

وقال :(والله الذى لا إله غيره ، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين نزلت ، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن نزلت ، لو أعلم أحداً أعلم منى بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه) (١) .

وواضح أن مدحه لنفسه كان لرد اعتراضات عليه .

ومنها ما قالته عائشة بنت سعد رضي الله عنها :

(أنا ابنة المهاجر الذى فداه رسول الله ﷺ بأبويه يوم أحد) (٢) .

وغير ذلك ، مما هو كثير فى أقوال الصحابة فى مناسبات شتى ، وكذلك فى أقوال التابعين مما لا يترك مجالاً للاعتراض على جواز المدح .

وبقى بعد ذلك أبرز دليل : ما كان من القرآن الكريم ، وهو قول يوسف عليه السلام .

﴿قال اجعلنى على خزائن الأرض ، إنى حفيظ عليم﴾(٣) .

وهذا من مدح نفسه .

---

(١) رواه البخارى .

(٢) شرح السنة للبغوى ١٤ / ١٢٤ .

(٣) سورة يوسف / ٥٤ .

قال الرازى :

(إن مدح النفس إنما يكون مذموماً إذ قصد به الرجل التطاول والتفاخر ، والتوصل إلى غير ما يحل ، فأمّا على غير هذا الوجه فلا نسلم أنه محرم) [1] .

وقال القرطبى : (ودلت الآية أيضاً على أنه يجوز للإنسان أن يصف نفسه بما فيه من علم وفضل) .

قال الماوردى : (وليس هذا على الإطلاق فى عموم الصفات، ولكنه مخصوص فيما اقترن بمصلحة ، أو تعلّق بظاهر من مكسب ، وممنوع منه فيما سواه ، لما فيه من تزكية ومراءاة) (فإن يوسف دعته الضرورة إليه لما سبق من حاله) [2] .

وفى كتب التفسير الأخرى مزيد من ذلك ، وكذلك فى شروح متون الحديث ، ومظان وجودها فى كتب التفسير عند تفسير سورة يوسف ، أمّا فى الشروح الحديثية ففى أبواب المناقب السِّيَر ..

وسوف يأتى المزيد من الشواهد عند الاستدلال بها للأحوال الخاصة التى يجوز فيها مدح النفس .

❁❁❁❁❁

(١) تفسير الرازى ١٨ / ١٦١ .

(٢) تفسير القرطبى ٩ / ٢١٧ .

★ نواتر التقعيد ★

● من خلال استقراء النصوص السابقة وغيرها ، يتبين جواز مدح النفس عند المصلحة والحاجة ، وهو مما يحتاجه الدعاة أيضاً فى مناسبات شتى وظروف مختلفة ، فلا بد من فهم هذه الظروف والملابسات التى تجوز مثل هذا الأمر حتى لا يمتنع عنها الداعية تورعاً أو حياءً ، أو يُنتقد عليها القائد أو الأمير جهلاً أو تنقيصاً ، وبذلك تفوّت مصالح راجحة على الدعوة .

وسوف نقتصر هنا على ثلاثة نصوص تشمل أكثر هذه الظروف والأحوال التى يجوز فيها مدح النفس ، ثم نذكر بعدها الحالات بشكلها التفصيلى :

الأول: ماذكرالإمام النووى فى كتابه (الأذكار) :

(... والمحبوب أن يكون فيه مصلحة دينية ، ذلك بأن يكون آمراً بمعروف ، أو ناهياً عن منكر ، أو ناصحاً ، أو مشيراً بمصلحة ، أو معلماً أو مؤدباً ، أو واعظاً ، أومذكراً ، أو مصلحاً بين اثنين ، أو يدفع عن نفسه شراً ، أو نحو ذلك فيذكر محاسنه ناويا بذلك أن يكون هذا أقرب إلي قبول قوله ، واعتماد ما يذكره ، أو أن هذا الكلام الذى أقوله لا تجدونه عند غيرى فاحتفظوا به ، أو نحو ذلك ...) [1] .

---

(١) الأذكار / ٢٣٨ .

الثانى : ماذكره سلطان العلماء العز بن عبد السلام فى (قواعد الأحكام فى مصالح الأنام) :

(ولا يمدح المرء نفسه إلا إذا دعت الحاجة إلى ذلك ، مثل أن يكون خاطباً إلى قوم فيرغبهم فى نكاحه ، أو ليعرف أهليته للولايات الشرعية والمناصب الدينية ، ليقوم بما فرض الله عليه عيناً أو كفاية ، كقول يوسف عليه السلام : ﴿**اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم**﴾. وقد يمدح المرء نفسه ليُقتدى فيما مدح به نفسه كقول عثمان - رضى الله عنه - : « ما تغنيت مذ أسلمت ولا تمنيت ، ..... منذ بايعت رسول الله ﷺ » ، وهذا مختص بالأقوياء الذين يأمنون التسميع ويُقتدى بأمثالهم ، وعلى الجملة فالأولى بالمرء أن لا يأتى من أقواله وأعماله الظاهرة والباطنة إلا بما فيه جلب مصلحة عاجلة أو آجلة ، أو درء مفسدة عاجلة أو آجلة ، مع الاقتصاد المتوسط بين الغلو والتقصير ...) [1] .

الثالث : ما قاله ابن القيم بعد حديثه عن العلم ، واستدلاله لجواز إخبار المرء بما عنده منه : (... ومنه قول يوسف الصديق - عليه السلام - ﴿ **اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم** ﴾ فمن أخبر عن نفسه بمثل ذلك ليكثر به ما يحبه الله ورسوله من الخير فهو

---

(١) قواعد الأحكام ٢ / ١٧٨ .

محمود ، وهذا غير ما أخبر بذلك ليتكثر به عند الناس ويتعظم ، وهذا ما يجازيه الله بمقت الناس له وصغره فى عيونهم ، والأول يكثره فى قلوبهم وعيونهم ، وإنما الأعمال بالنيات ، وكذلك إذ أثنى الرجل علي نفسه ليخلص بذلك من مظلمة وشر ، أو ليستوفى بذلك حقاً له يحتاج فيه إلى التعريف بحاله ، أو ليقطع عنه أصماع السفلة فيه ، أو عند خِطبته إلى من لا يعرف حاله ...) [1] .

★الأبواب العشرة فى سور مدينة الذات ★

● الأحوال التى يجوز فيها مدح النفس فى الجماعة المسلمة ما يلى :

(١) الترشيح الذاتى لمهمة دعوية ، ولمصلحة شرعية أو ولاية دينية :

ويتم ذلك دون إلزام الإمام أو الرئيس بالاقترح ، وإنما يكون غرض المسلم فى ذلك إحقاق الحق ، ويفعله لمصلحة المسلمين ، وعزة الإسلام ، لذلك اعتبرالرازى مقولة يوسف ـ عليه السلام ـ من مبررات المدح المشروع ، فقال :(إن السعي فى إيصال النفع إلي المستحقين ، ودفع الضرر عنهم أمر مستحسن فى العقول) [2]

(..... فرأى أن ذلك فرض متعين عليه فإن لم يكن هناك غيره ، وهذا الحكم اليوم ، لو علم إنسان من نفسه أنه يقوم بالحق فى القضاء أو

---

(١) مفتاح دار السعادة / ١٣٩ .

(٢) تفسير الرازى ١٨ / ١٦١ .

الحسبة ولم يكن هناك من يصلح ولا يقوم مقامه لتعين ذلك عليه ، ووجب أن يتولاها ويسأل ذلك ، ويخبر بصفاته التى يستحقها بها من العلم والكفاية وغير ذلك)[1] .

ويتضح من هذه النصوص ترجيح مدح النفس عندما يرى الإنسان نفسه صالحاً لولاية دينية لا يجد غيره أصلح منه لها ، وهذا دليل الإيجابية ، وعلى هذا فعلى الداعية أن لا يبرر سلبيته أحياناً بالتقوى أو التواضع ، وعليه بالتصدى لإظهار نفسه للمهمات الإسلامية ، أو الانتداب لعمل ، أو الاتصال بشخص ، وكذلك فى أى ولاية مؤقتة كرئاسة مؤتمر ، أو مسؤولية تفاوض ، وغير ذلك مما يقاس عليه ، على أن يتحدد المدح وأن يكون أمام من لا يعرفوه ، إمّا لحداثتهم ، أو مجيئهم من منطقة أخرى ، وغنى عن التذكير أن وصف الداعية لذاته لا يلزم الأمير بشىء .

(٢) إظهار الحق وشكر نعمة الله تعالى :

وهذا مظهر من تطبيق قوله تعالى ﴿ **وأما بنعمة ربك فحدّث** ﴾ والداعية باعتباره مؤمناً عليه شكر المنعم بالتحديث بنعمته عز وجل .

(٣) الدفاع عن النفس :

ومثله الاضطرار لذكر الفضل إذا خلا من البغى والاستطالة ، وخصوصاً عند تعرض المسلم لنوع من الحسد والمماراة ، ومحاولة النيل

---

(١) تفسير القرطبى ٩ / ٢١٦ .

منه ، وتحطيم جهوده ، كما قال سعد ـ رضي الله عنه : ـ

(إنى لأول العرب رمى بسهم فى سبيل الله ، ورأيتنا نغزو ، وما لنا من طعام إلا ورق الحَبلة ، وهذا السّمُر ، وإن أحدنا ليضع كما تضع الشاة ، ماله خِلط ، ثم أصبحت بنو أسد تعزرنى على الإسلام ..) (١).

ويستشهد بهذا الأثر فى جواز المدح عند وجود المصلحتين السابقتين ، كما سبق نظير ذلك فى دفاع عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ بمدح نفسه أمام جمع من الصحابة ، قال ابن حجر رحمه الله نقلاً عن ابن الجوزى ـ رحمه الله ـ قوله :

(إن قيل : كيف ساغ لسعد أن يمدح نفسه ، ومن شأن المؤمن ترك ذلك لثبوت النهى عنه ؟ ، فالجواب : أن ذلك مساغ له لما عيّره الجهال بأنه لا يحسن الصلاة ، فاضطر إلى ذكر فضله ، والمدحة إذا خلت من البغى والاستطالة وكان مقصود قائلها إظهار الحق وشكر نعمة الله لم يكره ، كما قال القائل : إنى لحافظ لكتاب الله عالم بتفسيره وبالفقة بالدين ، قاصداً إظهار الشكر ،أو تعريف ما عنده ليستفاد ، ولو لم يقل ذلك لم يعلم حاله) (٢) .

وقد سار السلف على هذا المنوال فى دفع التهم عن أنفسهم ، وفى مجال الدعوة والعمل في سبيل الله ، ورد الشبه والأقاويل لما فيه

---

(١) رواه البخارى .

(٢) فتح البارى ١١ / ٢٩١ .

مصلحة العمل الإسلامى ، فقد يقود تجريح الشخص إلى ظلمه وحربه ، وبالتالى إلى إهمال أفكاره وأقواله ، وقد حصل لابن تيمية ـ رحمه الله ـ ذلك ، فاجتمع بالناس وقال للأمير والحاضرين ، بعدما سمع مقالة السوء والفتنة عليه :

(أنا أعلم أن أقواماً كذبوا علىّ ، وقالوا للسلطان أشياء ، وتكلمت بكلام احتجت إليه ، مثل أن قلت : من قام بالإسلام أوقات الحاجة غيرى ؟ ومن الذي أوضح دلائله وبيّنه ؟ وجاهد أعداءه ، وأقامه لما مال ؟ حين تخلى عنه كل أحد ، ولا أحد ينطق بحجته عنه ، وقمت مظهراً لحجته مجاهداً عنه مرغباً فيه؟ فإذا كان هؤلاء يطمعون فى الكلام فىّ فكيف يصنعون بغيرى ؟ .....) (١) .

وبعض النقد والتجريح يجرى فى وسط الجماعة المسلمة ، وإنكار حصوله نوع من التكلف والمثالية ، فقد يحصل النقد بين مجاميع مختلفة أو بين بضع أفراد ، ومثل هذه الأمور بعضها ناتج عن ضرورات النفس البشرية ، وبعضها ينتج عن بعض الظروف والملابسات الوقتية ، وبعضها بسبب حدة الطبع أو متاعب العمل الدعوى ، وبعضها الآخر يكون ناتجاً عن عدم فهم البعض أو معرفتهم للبعض الآخر ، ولا ننكر أن بعض الأمور تنتج عن حسد الأقران ، أو قلة التقوى ، أو عن الهوى والتسرع ، وأياً كان الأمر فإن المعتدى عليه بباطل ظاهر ، أو تجريح

---

(١) فتاوى ابن تيمية ٣ / ١٦٣ .

واضح ، يجوز له الرد بالمعروف وإظهار محاسن نفسه ، وكذلك إذا تعرض بعض القادة أو المربين لتجريح الضعاف فى الصف ، والمتطلعين إلى المراكز، أو من بعض المرجفين ، أو أصحاب الحماسة المتهورة ، فقد يضطر هؤلاء أمام ضغط النقد الحاد ، وحرصاً على وحدة الجماعة وتماسك الصف ، إلى إبراز صفاتهم ، وذكر مميزاتهم ، كى يظهر فضلهم ، وتبدو محاسنهم أما م بقية أفراد الجماعة .

(٤) التعريف:

وهو أن يضطر المسلم إلى التعريف بنفسه ، وذكر بعض خصائصه التى تؤهله لمهمة ما ، وذلك عند من لا يعرفه ، أو عند من ليس له علم سابق ، ومن أمثلة ذلك ، ما قد يعرف به الإنسان فضله في تبيان علم ، أو تأليف كتاب، وفى ذلك من روائع البيان ما كتبه السيوطى فى التعريف بفن الأشباه والنظائر ، وجهده فى جمعه ، فكتب له مقدمة رائعة ، نقتبس منها مايلى :

(إن هذا الفن لا يُدرك بالتمنى ، ولا يُنال بسوف ولعلّ ولو أنى ، ولا يبلغه إلا من كشف عن ساعد الجد وشمّر ، واعتزل أهله وشدّ المئزر ، وخاض البحار وخالط العجاج ، ولازم التردد إلى الأبواب فى الليل الداج ، يدأب فى التكرار والمطالعة بكرة وأصيلاً للتأليف بياناً وتقييداً ، ليس له همة إلا معضلة يحلها ، أو مستعصية عذرة على القاصرين فيرتقى إليها ويحلها ، يُرد عليه ويَرد ، وإذا عذله أهل

لا يصد ، قد ضرب مع الأقدمين بسهم ، والغَمْرُ يضرب فى حديد بارد ، وحلق على الفضائل واقتنص الشوارد .

وليس على الله بمستنكرٍ أن يجمع العالم في واحد

يقتحم المهامة المهولة الشاقة ، ويفتح الأبواب المرتجة إذا قال الغبى لا طاقة ، إن بدت له شاردة ردها إلى جوف الفرا ، أو شردت عنه نادرة اقتنصها ولو أنها فى جوف السما ، له نقد يميّز بين الهباب والهباء ، ونظر يحكم إذا اختلف الآراء بفصل القضاء ، لا يأتى عليه تمويه الأغبياء ، وفهم ثاقب لو أن المسألة من خلف جبل قاف لخرقه حتى يصل إليها من وراء ، على أن ذلك ليس منه كسب العبد ، وإنما هو فضل الله يأتيه من يشاء) .

وهذا الأمر من أجل التعريف بفن جديد ، قد أبدع فيه .

ثم يعرج على كتابه فيقول :

(وأنت إذا تأملت كتابى هذا علمت أنه نخبة عمر ، وزبدة دهر ، حوى على المباحث المهمات ، وأعان على نزول الملمات ، وأنار مشكلات المسائل المدلهمات ، فإنى عمدت فيه إلى مقفلات ففتحتها ، ومعضلات فنقحتها ، ومطولات فلخصتها ، وغرائب قلّ أن توجد منصوصة فنصصتها) .

ونرى أنه قد أثنى على نفسه مرتين أولهما لأجل الفن ، والأخرى

لأجل كتابه نفسه ، ومثل السيوطى ما فعله قبله الإمام تاج الدين ابن السبكى (المتوفى ٧٧١ هـ) ، حيث قال عن فن (الأشباه والنظائر) أيضاً :

(اعلم أن أهم ما عنى به الفقيه ... القيام بالقواعد واختلاف المآخذ واجتماع الشوارد ، وذلك أمر شديد لا ينال بالهوينى ، ولا يدرك شأوه إلا من تصدى بأعمال قلب وقالب ...) .

ثم يستطرد بالحديث عن كتابه الذى حرره من كتاب ابن الوكيل فيقول :

(... فعمدت إلى هذا الكتاب فاحتلبت زُبْدَهُ ، وقذفت من بحر فوائده زَبَدَه ، وجمعت عليه من الأشباه نظائر ، فالأرواح جنود مجندة ، حررته فى الدجَى بشهادة النجوم ، ولاقيت عسره بهمة نبذت سهيلاً بالعراء وهو مذموم ، وجلوت من الأشباه عروس شاب لا شبيه لها مظنون ولا معلوم ...) (١) .

وقال إمام الحرمين يصف كتابه (النظامى) بقوله :

(قد تقدم الكتاب ، محتوياً على العجب العجاب ، ومنطوياً على لب الألباب ، أحدوثة على كر العصر ، وغرة على جبهة الدهر ، يعشو

(١) مقدمةالأشباه والنظائر لابن السبكى ، ولا يزال الكتاب مخطوطاً لم يطبع بعد .

إلى منارها المرتبك فى الشبهات ، ويلوذ بآثارها المنسلك فى مثار المتاهات ، ويقتدى بنجومها المترقى فى مهاوى الورطات ، وينخنس برجومها المتعثر فى أذيال الضلالات ....) (١) .

والدليل على صحة هذا المنهج عند المؤلفين ما قاله القرطبى استناداً إلى مقولة يوسف ـ عليه السلام ـ :

(إنما قال ذلك عند من لا يعرفه ، فأراد تعريف نفسه، وصار ذلك مستثنى من قوله تعالى ﴿ **فلا تزكوا أنفسكم** ﴾ ...) (٢) .

وهناك العشرات من هذه الأمثلة نراها فى مقدمات كتب بعض السلف والتابعين ، وإن كان التواضع أولى ، ولكن يستحسن الثناء على الفن إذا كان فريداً فى بابه ، ويقود المدح إلى اطلاع الناس عليه ، وكذلك الحكم بالنسبة للثناء على الكتب أو المحاضرات والدروس ، مع ضرورة مراعاة الكاتب أو المربى ضوابط المدح التى سيأتى ذكرها ـ فيما بعد ـ .

ومن التعريف الذى لا بد منه للداعية أمام إخوانه أن يذكر قابليته في أمرٍ ما ، كأن يقول العبارات التالية التى يمكن القياس عليها :

★★ أنا أعلم الناس بالفن الفلانى ، لأننى درسته كثيراً ، أو

---

(١) مقدمة كتاب (الغياثى) / ٧ .

(٢) تفسير القرطبي ٩ / ٢١٦ .

أعددت رسالة جامعية فيه .

★★ أنا أعلم الناس بظروف البلد الفلانى لأننى عشت فيه سنوات ، وزرته مرات عديدة ، واختلطت بأهله وعشائره ، ورجاله وساسته .

★★ أنا أعلم الناس بما يجرى بالمنطقة الفلانية لأننى من أهلها ، أو تزوجت منها ، أو خالطت أهلها بكثرة .

★★ أنا أعلم الأخوة بفلان من الناس ، لأنى خالطته بكثرة ، أو أنه من أقاربى وأهل بلدى .

★★ أنا أعلم الأخوة بالحدث الفلانى لأننى شاركت فيه ، أو راقبته ودرسته عن قرب .

★★ أنا خير من يستشار فى أمر الجماعة الفلانية ، لأننى كنت عضواً فيها .

وهكذا أمور الدعوة المختلفة ، سواءً كانت فكرية ، أو تربوية ، أو سياسية أو اجتماعية ، ممايستحسن للأخ الداعية أن يبين كفاءته فيها ومعرفته بأمورها ..

(٥) الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

وهذا الأمر وإن تحدد فى استثناءات العلماء ، إلا أنه أمر عام يشمل كل الأمور الأخرى ، ولا بأس بذكر بعض المسائل التى قد تحصل

ـعلى وجه الخصوص ـ وسط الجماعة المسلمة ، ومنها :

★★ أن يذكر الداعية معرفته وخبرته ، من أجل التحذير من جماعة مشبوهة أو فرد ، يظهر صلاحه ودينه .

★★ تعريف الداعية بقابليته العملية فى الفنون الصناعية ، والرياضية ، والمهارات البدنية .

★★ تعريف الداعية بنفسه ومدحها لأجل القيام بعملية التوجيه والتربية والإعداد والتعليم .

★★ ما يذكره الداعية فى أثر تصرفاته الحكيمة ، أو طريقته الجيدة فى الدعوة ، وأثرها فى الناس والدعاة ، وغيرهم .

★★ ما يذكره الداعية من تجاربه الناجحة ، وممارساته ، سواءً فى المدارس أو القبائل ، وقدراته السياسية وحنكته فى التعامل مع رجال الأحزاب والهيئات ، وذكر دهائه وذكائه فى التخلص من المآزق والظروف .

★★ إبراز الداعية لشهادته وكفاءته أمام عموم الناس الذين يتأثرون بأصحاب الشهادات والألقاب، من أجل التوطئة للسماع الجيد والتأثر بالحديث .

ويقاس على كل ما ذكر كل أمر يساعد على إتمام الأمر

بالمعروف وفق مصالح الشريعة ..

(٦) الانتصاب كقدوة :

قد يرى المربى فتوراً من الأعضاء ، أو كسلاً عند الأفراد ، أو بعض مظاهر قصور الهمة ، فيضطر إلى إظهار بعض محاسنه ، وكشف بعض تصرفاته حتى يظهر كقدوة للآخرين في البذل والعمل والتضحية وقد يحتاج لمثل هذا الأمر فى صفوف الجماعة ، فعند تشكى الإخوان من قلة الوقت مثلاً ، يضطر مسؤولهم إلى الحديث عن نفسه وكشف جدول أوقاته وأعماله ، كى ينتصب لهم قدوة فى بذل الوقت ، أو قد يرى تقصيراً فى البذل المادى فيضطر إلى ذكر بعض تبرعاته واشتراكاته ومصاريفه ، كى ينتصب قدوة فى البذل المادى ، وقد يلجأ إلى ذكر بعض قراءاته تشجيعاً لإخوانه على القراءة والمطالعة ، وقد يلجأ إلى ذكر مواقفه وثباته فى المحن أو صبره تثبيتاً لإخوانه ، وهكذا ، مما يقاس عليه ، ومداره على المصلحة العامة ، والأمر مقيد بضوابطه ، وقمة الضوابط أن تكون النية خالصة لوجهه تعالى .

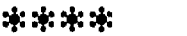

(٧) الإصلاح بين الناس :

وكذلك فض المنازعات ، وإصلاح ذات البين، وأشباه ذلك وما قد يكون أخص من ذلك وسط الجماعة المسلمة كالإصلاح بين مجموعتين إسلاميتين أو إصلاح ذات البين بين داعيتين ، وكل ذلك يحتاج فيه الداعية المصلح إلى مدح نفسه بالمعروف ، بل قد يستحسن له ذلك ، كذكر مناقبه ، وقدمه فى الدعوة ، وأنه فوق مصالح الأفراد ، ولم يجرب عليه أحد كذباً ، وحسن بلائه فى الدعوة ، وقد يطنب فى ذكر عدله السابق فى المواقف ، وعدم اشتراكه فى الفتن ، أو عدم تطاوله فى النقد والتجريح ، وعفة لسانه ، وكل الخصائص التى تؤهله للإصلاح بين المتنازعين ، وفض خصوماتهم .

(٨) الوعظ والتذكير :

فى حالة وعظ الإنسان لغيره فى أمر من أمور الخير ، يحتاج إلى رواية بعض الحكايات والقصص التى تبين عواقب الأمور الحسنة ، كعاقبة الزهد والتوكل والصبر والعبادة ، وكل التزام بمعروف ، كما قد يحتاج ـ من جهه أخرى ـ ذكر نتائج الأعمال السيئة ، ومآلها .

وفى أثناء ذكر عاقبة أعمال الخير قد يعرج على ذكر قصص حصلت له ، وروايات لأخبار خاصة ، وحكايات كان من ممارسيها ، ولا يخفى ما قد يجره الحديث إلى مدح نفسه وذكر بعض فضائله ، إذ أن الحكاية التى يرويها صاحبها أبلغ بالموعظة ممن تروى عن الغير ،

ولذلك فإن مثل هذا المدح ، والتعريج على ذكر فضائل النفس لا بأس فيه إذا أمن صاحبه على نفسه العجب والغرور .

(٩) مدح النفس أمام الأعداء :

قياساً على ما ورد فى النصوص ، من إشهار القائد نفسه ، والتفاخر ، وإظهار الشجاعة ، ويظهر من هذا الدليل إمكانية القياس عليه فى مدح الداعية لنفسه فى المجالات العامة ، كالاشتراك فى مجالس نيابية ، أو جمعيات عامة ، أو شركات ، فيضطر الداعية لإظهار نفسه والفوز بمركز لمصلحة الدعوة ، فيبين ما يملكه من تجربة ، وما حصل عليه من شهادات ، وما يتمتع به من حنكة وخبرة وكفاءة فى ذلك المجال ، مما يمكن أن يكون عبر دعاية انتخابية ، لمجلس نيابى أو جمعية أو ناد ، وكل ما يتعلق بالممارسات السياسية ، خصوصاً وأن العلمانيين يتخذون من مسألة الدعاية الانتخابية أقوى الوسائل الإعلامية لترويج الباطل ، وبالتالى يشكل اتخاذ الوسائل المكافئة تعضيداً لهذا الغرض الذى ذكرناه والمتضمن بالضرورة مدح الداعية لشخصه ، وإبراز مواطن قوتها بالحق والإنصاف ، وقد ورد فى الصحيح ثناء الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على نفسه فى الحروب إخافة للعدو ، وتثبيتاً للمسلمين ، وقد ذكر هذا الاستنباط في نص للإمام النووى سبق ذكره .

(١٠) التأديب :

وهذا الغرض ظاهره المدح لأغراض تأديب الشخص لأولاده ، أو المعلم لتلاميذه ، ولكن مثل هذا المعنى لا يستعمل فى الإطار الدعوى ، ويمكن الاستعاضة عنه بمدلول التوجيه مع بقاء المعنى الأصلى كتأديب الداعية لأولاده ، ولطلابه إن كان معلماً أو مدرساً ، ومفهوم التوجيه بتضمن كلام المربى لإخوانه ، كقوله لغيره : (أنا أعلم منك بخطورة المسألة الفلانية ، فلا تتوجه نحوها) أو (إن خبرتى بالقضية كذا ، وأنصحك فيها بكذا) أو قوله : (رغم شجاعتى أو عقلى ، فقد فشلت فى تحقيق المسألة الفلانية) وأمثال ذلك ، مع ضرورة الحذر الشديد فى هذا الباب ، وضرورة الأخذ الحازم بالضوابط الأخرى ، كتقدير المصلحة ، ودفع المفسدة ، ومراعاة ظروف الأفراد واستعداداتهم لسماع مثل هذا الكلام .

★ ضوابط مدح الذات ★

ومن خلال النصوص يستطيع الإنسان استخلاص الضوابط الشرعية لمدح الذات ، والتى يجمعها كلها ضابط المصلحة الشرعية ، والمصلحة (هى المنفعة التى قصدها الشارع لعباده من حفظ دينهم ونفوسهم وعقولهم ، ونسلهم وأموالهم ، طبق ترتيب معين فيما بينها) والمنفعة : هي اللذة وما كان وسيلة إليها ، أودفع الألم وما كان وسيلة إليه ورغم أن مبحث المصلحة كبير - وليس مجال بحثه هنا - إلا أنه

يمكن استلال بعض الضوابط التى تصلح أن تكون محددة لمجال مدح الذات :

(١) أن تدعو الحاجة لذلك ، وكذلك الضرورة :

إذ أن الأخذ بالضروريات والحاجيات من مقاصد الشريعة ، ولما كان المدح الخاص استثناءً من أصل ، فلا يلجأ إليه إلا عند الضرورة ، أو لوجود الحاجة ، وكل من الحاجة والضرورة تقدر بقدرها ، ويجب أن تخدم مصالح الشريعة فى حفظ الدين والنفس والمال باعتبارها من مقاصد الشريعة العامة ، والقول بمدح الذات عند الحاجة أو الضرورة يجب أن لا تقود الشخص إلى استغلال أى موقف بهذه الحجة ، أو تبرير المدح بتلك الحاجة أو هذه الضرورة ، فإذا ما دعى إلى أمر فلا يبادر لمدح نفسه حتى يستفرغ جهده فى النظر إلى قابلية الآخرين ، وإذا سئل عن أحد جوانب الخير فلا يبادر إلى وصف نفسه به قبل أن ينصف غيره ، وإذا ما سئل عن الأفضل أو الأحسن فى مسألة فلا يسارع إلى المدح دون أن يجول خاطره فى تمثل صور الغير ، ولا يعتبر السؤال عن صفة ما يقوم مقام الضرورة فيبادر إلى ادعاء الصفة إلى نفسه ـ حتى ولو كانت صحيحة ـ إذا ما كانت تندفع بإجابة غيره ، وهكذا ردّ معاوية ـ رضى الله عنه ـ صفة السيادة للقوم على من ادّعاها.

(قال معاوية ـ رضي الله عنه ـ لرجل : مَنْ سيد قومك ؟ قال : أنا ، قال : لو كنت كذلك لم تقل) [1] .

ومن متممات هذا الشرط أن لا يغفل مادح نفسه عن رد كل الفضل فيما حازه من خير إلى الله تعالى ، وأنه سبحانه هوالمنعم عليه بذلك ، ولا حول ولا قوة إلا به ، وأنه كان جاهلاً فعلمه الله ، وعاجزاً فمكنه الله ، وهو عز وجل الواهب والمتفضل والميسّر ، ومنه الهداية وله المنة ، ويظل لسان المادح نفسه رطباً بمثل هذه المعانى والألفاظ .

(٢) أن لا يكون في الأمر تجاوزاً للحدود الشرعية :

كأن يكون فى المدح الشخصى عبارات كاذبة ، أو تدليس ، أو شتم ، أو نوع من العبارات الغليظة التى يمجُّها العرف ، وكذلك أن لا يختلط فيها شىء من الغلظة والغضب ، أو أن يمتزج معها عبارات غير شرعية كادعاء الغيب ، والاطلاع على القلوب ، أو أن يكون الفخر بما لا يحبه الله عز وجل .

(٣) أن يخلو المدح من البغى والاستطالة :

أى أن يمتزج مع مدح الشخص لنفسه شىء من الانتقاص من الآخرين ، أو الاستعلاء عليهم ، وأن يكون مع المدح تجريح وتضعيف لغيره ، وكذلك يجب أن يخلو المدح من اختلاطه ـ ولو بالإيماء ـ بنوع من الغيبة والنميمة ، وكل ما يشابه ذلك من آفات اللسان المعروفة .

(١) عيون الأخبار ١ / ٢٧٥ .

(٤) أن لا يكون المدح مبالغاً فيه :

أى يكون وسطاً بين الاختصار المخل الذى يظهر المدح ولا يؤدى المصلحة منه ، وقد يكون مثل هذا الاختصار بسبب خوفه الملامة أو الحياء ، وكذلك لا يكون مبالغاً فيه ، إذ أن من قواعد الشريعة أن الضرورة تقدر بقدرها ، ومدح الذات من الضرورة فلا يتعدى بالمدح الحد المطلوب لأداء المصلحة ، وفى نص العز بن عبد السلام التوضيح لهذا الأمر .

(٥) أن لا يقود المدح إلى مفسدة :

وذلك عند جهل الآخرين بالمصلحة ، وعندما يكون مدح النفس مثاراً للسخرية والتندر ، أو لا يضعه الناس موضعه الملائم ، فيكون سكوت الداعية خطيباً كان أو متحدثاً ، محاضراً كان أو كاتباً ، أولى من الحديث عن نفسه حتى ولو رأى مصلحة فى ذلك ، لأن من قواعد الشريعة الغراء أن (دفع المفاسد مقدم على جلب المصالح) .

ويقع ضمن هذا الأمر أيضاً عدم تفويت مصلحة أكبر ، فقد يكون فى مدح النفس مصلحة ، ولكنه قد يفوت مصلحة أكبر من ذلك ، ويقع ضمن الأمر كذلك اختيار الظروف المناسبة لمدح الذات كالزمان والمكان والأشخاص ، فالمدح فى مكان معين قد يجلب مصلحة ، ولكنه يقود إلى مفسدة فى مكان آخر ، فمدح القائد لنفسه أمام جنوده

وأقرانه ممن يعرفون بعض فضائله ليس كمدح نفسه أمام أتباع ممن يضمرون له البغضاء ، والمدح في وقت معين يكون مصلحة ، وفى وقت آخر يقود إلى مفسدة ، فالمدح عند تفاخر الناس فيما بينهم وأوقات الفتن ، ليس كالمدح عند صفاء القلوب ، وتجاوب النفوس ، وكذلك يراعى الداعية ظروف الأشخاص والملابسات ، فالتجمعات التى فيها حماسة للجهاد والقتال لا يمدح الشخص نفسه بحسن المقالات وتأليف الكتب ، وظروف التشاور لانتخاب شخص لمهمة ، لا يمدح المرء نفسه فى مجالات أخرى ، وهكذا مما يقدره صاحب العقل الواعى ، والقلب اليقظ .

(٦) أن يكون بالأسلوب المتواضع :

حيث يرافقه اللين والمحبة ، فقد يكون مدح النفس مقبولاً من الآخرين ، ويقدرون المصلحة فى قوله ، ولكن قد يرافقه شىء من الشدة ما يجعله أقرب إلى الغضب والتهور ، وقد يخالطه من نقد الآخرين ما يحوله إلى نوع من الغرور والعجب ، وقد يمتزج به من الألفاظ ما ينتقل به إلى احتقار الآخرين ، وبخس الناس أشياءهم ، بل قد يكون التقعر فى الكلام ، والتكلف فى الجلسة والهيئة ما يوحى به كنوع من التكبر والاستعلاء ، بل مجرد النبرة تجعل المقابل يقبل أو يرفض .

(٧) أن لا ينزعج من رد المدح :

إذ أن الداعية ـ أو المسلم عموماً ـ قد يمدح نفسه بما يظنه وفق الضوابط الشرعية المذكورة ، ويبرر له الشيطان تصرفه هذا ، والإنسان ـ فى العادة ـ لا يستطيع أن يرى كل عيوبه ، فقد يُرد المدح علي صاحبه ، فإذا كان الداعية متحرياً الصدق والنية الصالحة فى مدحه ، فلا يضيره رد المدح عليه ، بل عليه أن يفرح بذلك ، إذ أنه نوع من إهداء العيوب ، وانزعاجه لرد المدح ، أو غضبه لنفسه قرينة قوية على عدم صدقه فى دعواه فى توخيه المصلحة من المدح .

(٨) أن يكون مادحاً لغيره من أصحاب الفضل المكافئ :

إذ أن المسلم الصادق ـ والمفروض بالداعية ذلك ـ توخى النية الصالحة وصواب العمل فى مدحه لذاته ،مما يوجب عليه أن يمدح أيضا توخياً للإنصاف ، من يشاركه فى الفضل المكافئ من إخوانه ، فهذا أدعى إلى العدل والإحسان ، ودليل الأخوة والمروءة ، وقرينة على صدق التوجه ، وخلوص النية .

★★ فإذا مدح نفسه لرد تهمة ، فعليه مدح نظرائه ممن وقعت عليهم نفس التهمة .

★★ وإذا مدح نفسه لمصلحة دعوته فى علم أو عمل ، فعليه مدح من يوازيه فى ذلك .

★★ وإذا مدح لتعريف أو أمر بمعروف ، فالإنصاف يقتضى مدح من شاكله في الأمر .

★★ وإذا رشح نفسه لمهمة أو ولاية ، فما يضيره ذكره غيره من إخوانه من أشباهه .

.. وهكذا يُقاس على الأمر بقية الوجوه ومقاصد المدح.

(٩) الموازنـــة :

ونعنى هنا الموازنة بين المدح الجائز ، وبين التواضع الممدوح ، وهذا ما يحدده الداعية لنفسه ، وعليه أن يراقب قلبه دائماً ، ولا يقع تحت طائلة التبرير ، ويستغل جواز المدح للاستمرار والمبالغة فيه ، حتى يخضع لتلبيس الشيطان عليه ، فيتحول المدح - بمرور الأيام واستسهاله - إلى الغرور والعجب .

وقد وقع للعلماء والسلف أمثال ذلك فى قصص كثيرة ، نكتفى منها ما وقع للماوردى - شيخ الشافعية وقاضى القضاة فى زمانه - حيث صنف فى البيوع كتاباً أجهد فيه نفسه ، وكدّ خاطره ، فأعجب به واغتر ، فجاءه أعرابيان من البادية روى قصتهم :

(فسألانى عن بيع عقداه فى البادية ، على شروط تضمنت أربعة مسائل ، لم أعرف لواحدة منهن جواباً ، فأطرقت مفكراً وبحالى وحالها معتبراً .... فكان ذلك زاجر نصيحة ، ونذير عظة ، تذلل بهما

قياد النفس ، وانخفض لهما جناح العجب توفيقا منحته ورشداً أوتيتُه ، وحقّ على من ترك العجب بما يحسن ، أن يدع التكلف لما لا يحسن ...) (١) .

فلينظر الأخ الداعية قصة الماوردى ، وكيف استفاد من شعوره ، وما حصل له ، فاعتبره زاجر نصيحة ، وموعظة من الله له ، ودرس وفّقه الله إليه ، حتى يترك العجب والتكلف ، وأن لا يغتر بنفسه ، ويبالغ فى الثناء عليها ، فرب موهبة أعطاها الله لعبد ، تنسل منه فى لحظة ، وتؤخذ منه بيسر ،ورب صفة امتدح الإنسان بها نفسه و نسى فضل الله تنقلب علىه ، ويحنف فيه ذله .. بل قد تنقلب إلى عكسها ، وقانا الله شر مصارع النفس ، ومساقط الهوي ، وآفات القلوب .

(١٠) أن يأمن الإنسان على نفسه :

وهذا مما يخص المادح نفسه ، فلكل شخص على نفسه بصيره ، ولهذا يجوز المدح لمن يرى من نفسه قوة ، ولا يخشى التسميع ، أو لا يغتر بتأييد آخرين لمدحه ، أما من يخشى علي نفسه فيكره له ذلك ، بل قد يصل إلى مرحلة التحريم .

---

(١) أدب الدنيا والدين للماوردى / ٨٢ .

وقياساً على هذا ، يفضل أن يكون المدح عند الحاجة إليه فى أضيق الظروف ، وأقل الأعداد ، وأمام الأقران والأفاضل، أما مدح النفس أمام جماهير الدعاة وعموم الأفراد ، وفى المجالات العامة ، وما قد يجره ذلك إلى المزيد من المديح ، والتطاول فى الثناء ، وتعاقب الأشخاص فرداً بعد فرد ، بتدبيج العبارات ، وترتيب الثناء ، فمفسدته ظاهره ، ونتائجه بارزه ، إذ يسقط فى ذلك أقوياء الرجال ، والبعد عن مواطن التهم أولى ، وعن أجواء الفتنة وقصم الظهور أجدر .

★ احتراز يقيك الاستدراج ★

● وبعد معرفة كراهية مدح النفس ، والضوابط التي تسسى :ـ١ بعض الحالات فما موقف الممدوح عندما يمدح ؟ وخصوصاً أن قابل المدح ومَن يُظهر الفَرح به يكون كمادح نفسه ، وذلك معلوم بالفطرة ، ويدركه العقلاء ، إذ قيل :

(إن قابل المدح كمادح نفسه ، والمرء جدير أن يكون حبه المدح هو الذى يحمله على رده ، فإن الراد له ممدوح ، والقابل له معيب) (١) .

(١) عيون الأخبار ٣ / ٢٧٦ .

والجواب : إنّ قبول المدح ـ وخصوصاً إذا كان متكلفا ـ كمدح النفس المذموم . وقد أثبتت تجارب الحياة الدعوية أن المكثر من مدح داعية قديم بتكلف مبالغ فيه غالباً ما ينقلب إلى الضد فى العداوة ، لأن مدحه لم يكن خالصاً لله تعالى ، بل وقد نشاهد أحياناً اثنين يكثر أحدهما من مدح الآخر ، ولا يلبث أن يتحول جميل المدح بينهما إلى ذميم القول ، ويكشف أحدهما عيوب الآخر ، ويكشف أستاره ، ولقد أدرك السلف ذلك ، فعبر عن هذه الحقيقة على بن الحسين ـ رضي الله عنه ـ قائلاً :

(لا يقول رجل فى رجل من الخير مالا يعلم ، ألا أوشك أن يقول فيه من الشر مالا يعلم ، ولا يصطحب اثنان على غير طاعة الله إلا أوشكا أن يفترقا على غير طاعة الله) .

● ولهذا فليحذر الدعاة من المدح الكاذب ، والثناء الزائف ، فإنه كمدح النفس سواء بسواء .

(وإذا سمعت الرجل يقول فيك من الخير ما ليس فيك ، فلا تأمن أن يقول فيك من الشر ما ليس فيك) (١) .

(من مَدَحكَ بما ليس فيك من الجميل وهو راض عنك ، ذمّك بما ليس فيك من القبيح ، وهو ساخط عليك) (٢) .

(١) عيون الأخبار ٣ / ٢٧٥ .

(٢) لباب الآداب ، لأسامة بن منقذ / ٤٥٢ .

وعلى الممدوح أن لايقبل مدح المادح إلا وفق نفس الضوابط ، وعند وجود نفس الظروف السابقة والمحققة للمصلحة .

والمسألة سواء إذا كان الممدوح يستحق المدح أو أنه يمدح بما ليس فيه ..

● إن قبول المدح والالتذاذ به ، وميل الطبع إليه دليل شعور النفس بالكمال ، وابتعادها عن النقص ، أو أن قلب المادح مملوك للممدوح ، وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ ، أو أنها سبب لاصطياد القلوب ، أو أن المدح دليل حشمة الممدوح وقدرته ، وكل ذلك يؤدى بدرجة تنقص أو تزيد إلى قطع عنق الممدوح ، وشعوره بالعجب والفخر إلا من عصم الله تعالى .

وعلى الداعية والمربى - والأمير خصوصاً - أن يسد أفواه المدّاحين ، وأقل درجاته أن يستوى عنده المدح والذم ، ويمتعض من المدح المتكلف ، ولا يصيبه الغم من الذم ، ولا يجد فى نفسه نشاطاً لإعانة أو توثيق المادح ، أو تضعيفاً للناقد والناصح ، كما على المربى أن يستعلى عن كون زلة المادح أقل فى ميزان الجرح والتعديل من زلة الذام ، وغير ذلك ، ومما يدرك بالعقل الراجح والفطرة السليمة أن مدح المادح قد رجح شيئاً فى نفس الممدوح لم يكن لولا النطق بهذا المدح.

(وعلى الممدوح أن يكون شديد الاحترازعن آفة الكبر

والعجب ، وآفة الفتور ، ولا ينجو منه إلا بأن يعرف نفسه ويتأمل ما فى خطر الخاتمة ، ودقائق الرياء ، وآفات الأعمال ، فإنه يعرف من نفسه مالا يعرفه المادح ، ولوانكشفت له جميع أسراره وما يجرى على خواطره لكف المادح .. وعليه أن يظهر كراهية المدح بإذلال المادح ...) (١) .

وإضافة إلى ما ذكر من عيوب مدح الذات ، فإن المعروف من فطر النفوس أن المدح يفتر الممدوح عن العمل ، مما يضيف سبباً جديداً فى كراهيته .

(فإنه لا يأمن أن يحدث فيه المدح كبراً أو إعجاباً أو يكله على ما شهره به المادح فيفتر عن العمل ، لأن الذى يستمر فى العمل غالباً هو الذى يعد نفسه مقصراً) (٢) .

وتزداد الكراهية فى تقبل المدح إذا كان موجهاً للممدوح بذاته ، أو دون حضور غيره ، أما عند استماع الآخرين فيظل الأمر على أصل الكراهية مع استثناء ما ذكر من الظروف المصلحية ، كالمدح لغرض التولية الشرعية ، أو إسناد المهمة الدعوية ، أو الدفاع عن عرض الشخص الممدوح ، أو ما قد يتعلق بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وما يتعلق بذلك من شهادات وحقوق ، وكذلك فى الأمور المترتبة على

(١) إحياء علوم الدين ٣ / ١٦١ .

(٢) فتح الباري ١٠ / ٤٧٨ .

الجرح والتعديل ، وفى ظروف المصلحة المترتبة على المديح من أجل الاقتداء بالممدوح فى أعمال البر والخير والجهاد ، وفى مسائل الإصلاح بين الناس ، وما قد يستشهد به لأغراض الوعظ والتذكير ، وكذلك يستحب المدح أمام الأعداء لإبداء قوة الممدوح وكفاءته ، مما فيه مصلحة ، وكذلك عند الاضطرار للتعريف ، فتعريف الغير خير من أن يعرف الإنسان بنفسه ، لأن لسان المرء عن ثناء نفسه قصير ، وتكليف غيره عند الحاجة إلى ذلك أدعى لدفع تهمة التفاخر والتعاظم عنه ، وغير ذلك من الأمور التى تقاس بما ورد ذكره .

● وعلى الداعية والمربى ، وهو يتخلص من آفات المدح لنفسه أو من غيره ، أن يتذكر معاتبة النفس دوماً .

واعلم ـ أيها الداعية ـ أن ألدّ أعدائك : نفسك التى بين جنبيك ، وقد أمرت بتزكيتها وتقويمها ، وقودها بسلاسل القهر إلى عبادة ربها وخالقها ، ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها ، فإن أهملتها جمحت وشردت ولم تظفر بها بعد ذلك ، والعبد الحق من عرف حقيقة نفسه ، وترك مدحها إلا لمصلحة ، ولم يستمع ثناء غيره .

(ولله در الشيخ أبى مدين حيث يقول : من تحقق بالعبودية نظر أفعاله بعين الرياء ، وأحواله بعين الدعوي ، وأقواله بعين الافتراء ، وكلما عظم المطلوب فى قلبك ، صغرت نفسك عندك ، وتضاءلت القيمة التى تبذلها فى تحصيله ، وكلما شهدت حقيقة الربوبية وحقيقة

العبودية ، وعرفت الله ، وعرفت النفس : تبين لك أن ما معك من البضاعة لا يصلح للملك الحق ولو جئت بعمل الثقلين ... وإنما يقبله بكرمه وجوده وتفضله ....) [1] .

★النية والفراسة تغربلان الجُزاف ★

● تبين مما سبق أن خلاصة الأمر في مدح الذات وتقويمها ، منصبّة فى جملة قواعد تبنى على النصوص وتتناسب مع مقاصد الشريعة العامة ، وتدخل ضمن قاعدة : (إنما الأعمال بالنيات) .

١ ـ لا يجوز ذم النفس أمام الغير لأنه ليس من التواضع ، والأصل محاسبة النفس فى السر .

٢ ـ الأصل عدم جواز مدح النفس إلا لضرورة أو حاجة تقود إلى مصلحة راجحة أو تدفع مفسدة .

٣ ـ يتناسب جواز المدح مع مقدار المصلحة أو الحاجة مما قد يرتفع به إلى حد الواجب أو ينخفض إلى قدر المباح .

٤ ـ عند الاحتياج لمدح الذات لابد من الالتزام بالضوابط الشرعية المحققة للأهداف الشرعية .

٥ ـ ما ينطبق على مدح الذات ينطبق علي حب الاستماع للإطراء والمديح من الغير .

---

(١) تهذيب مدارج السالكين / ١١٩ .

وعند استعمال هذه القواعد ـ بإدراك ووعى ـ تحقق المصالح داخل الجماعة المسلمة باستعمال الأساليب الشرعية الصحيحة ، وكذلك يظل الدعاة على المنهج الأصيل السامى في الأقوال والتصرفات والسلوك ، كما يتعود الدعاة على فهم المنهج الإسلامى فى النقد والتقويم وعدم المسارعة فى الاتهام والتجريح على ظواهر التصرفات ، وتظل مقاييس التحسين والتقبيح ، أو المدح والتجريح ، وفق المقاييس الشرعية ، لا الاعتبارات العرفية ، فتظل الأجواء صافية ، والنفوس سليمة ، ويدرأ عنها الكدر ، وتبتعد عنها الفتنة ، وكذلك تتحقق المصالح المبنية على الأساليب التى قد يكرهها الدعاة نتيجة عرف خاطئ ، أو خوفاً من الملامة والنقد ، وعند إدراكها من عموم الدعاة قادة وجنوداً يصحح العرف الخاطئ ، ويقل الخوف من النقد والملامة ، فتشاع الأساليب الصحيحة ، وتقدر المصالح بأقدارها .

ولابد من التنويه كذلك أن السماح بمدح الذات وفق ضوابطها لا يعنى أنه الأسلوب الوحيد ، أو الطريق المتفرد فى تقويم الأمراء للأتباع من خلاله ، فجواز الأخذ به من جانب لا يقود بالضرورة إلى وجود إلزام المستمع به ، فإن للقادة والدعاة من البصيرة الإيمانية ، والفراسة الإلهامية ، ومن رصيد الخبرة والتجارب ، ومن حنكة العقل والفطرة ما يجعلهم على قدر كبير من التمييز بين الصادق من المدح والمتكلف ، وبين إيضاح الحق والإطراء المتعسف ، وبين سكينة المنصف والتواضع المغلف ، وإذا كانت بعض الأمور يدركها

أذكياء البشر بالفطرة والحس ،والذكاء والموهبة ، فكيف إذا ما أضيفت إليها الفراسة ، فإن لحن القول غالباً ما يبدو ظاهراً لمن رزق التمييز ...

وفوق هذا فحتى لو كان القادة من الدعاة يصدقون كل ما يقال ، وكانت آذانهم (أذُنُ خير) ، فإن شهادة الناس لأنفسهم ليست المصدر الوحيد لتقويم الأشخاص ، بل هوآخرالمصادر ، إذ تسبقه عمليات الجرح والتعديل ، وشهادات العدول من الثقات ، وأقوال الاستفاضة ، وقيام قرائن الأحوال ، وما تفرزه الحياة الاجتماعية مع الناس والجماعية مع الدعاة من بروز خصائص الأفراد ومميزاتهم مما يجعل الخبرة والممارسة مورداً ضخماً للمعلومات عن الشخص ، واستكشاف حاله .

● ولقد أثبتت التجارب الدعوية أن مادح نفسه ، أو الذين يحبون أن يُمدحوا بما لم يفعلوا ، غالباً ما تكشف أوراقهم بسرعة ، ويتحول مديحهم إلى نوع من الهجنة المذمومة ، وتكون ألفاظهم ثقيلة الوطء على السامع ،إذ أن لحسن النيّة جمالاً في اللفظ ، وبهاءً في النطق ، وتأثيراً على قلب السامع ، كما أن فساد النية يورث سوءاً في اللفظ ، ولا ينفعها التزويق في اختراق شغاف القلوب ، وإذا كسب مديح الذات جولة ، فإنه لن يستمر فترة طويلة ، فسرعان ما يظهر لحن القول ، فتنسد دونه الآذان ، وتمجه النفوس ، ولا يظل عالقاً في القلوب إلا ما كان خالصاً لله تعالى وحده .

﴿ ... فأمّا الزبد فيذهب جفاء ، وأمّا ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض ، كذلك يضرب الله الأمثال ﴾ (١) .

● وعلى أية حال ، فإن أصل كراهية مدح الذات أو جوازه كاستثناء ، يخضعان لقاعدة (إنما الأعمال بالنيات) ، ومردهما إلى إخلاص المرء ، ومقدار ما يستشعره من مصلحة دينية أو دنيوية من المدح وضده ضمن الضوابط الشرعية ، والتوازن فى هذا الأمر مطلوب ، كأى أمر آخر فى الشريعة ، وعلى كل داعية أن يستوعب وصية الفقهاء .. أنه :

(لا ينبغى أن يجهل من نفسه مبلغ علمها ، ولا أن يتجاوز بها قدر حقها ، ولأن يكون بها مقصراً ، فيذعن بالانقياد ، أولى من أن يكون بها مجاوزاً ، فيكف عن الازدياد ، لأن من جهل حال نفسه ، كان لغيرها أجهل ...) (٢) .

أمّا الأمراء والعلماء ، فإن أحدهم يوصى - أيضاً - بأن :

(يجتنب أن يقول مالا يفعل ، وأن يأمر بمالا يأتمر ، وأن يُسر غير ما يظهر ... فإن إصرار النفس يغريها ، ويحسن لها مساويها ، فإن من قال مالا يفعل فقد مكر ، ومن أمر بمالا يأتمر فقد خدع ، ومن أسرّ غير ما يظهر فقد نافق ...) (٣) .

---

(١) سورة الرعد / ١٧ .

(٢) (٣) أدب الدنيا والدين ، للماوردي / ٨٤ / ٨٦ .

ولما كان أصل كراهية مدح الذات والزهد فيها الإخلاص ، فإن الزهد فى المدح وكراهيته يقودان إلى الإخلاص من جهة أخرى ، فإنه :

(لا يجتمع الإخلاص فى القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس ، إلا كما يجتمع الماء والنار ... فإذا حدثتك نفسك بطلب الإخلاص فأقبل على الطمع أولاً فاذبحه بسكين اليأس ، وأقبِل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشاق الدنيا فى الآخرة ، فإذا استقام لك ذبح الطمع والزهد فى الثناء والمدح سهل عليك الإخلاص ..) (١) .

ويليق لك فى الآخر أن تعجب مع ابن الجوزى - رحمه الله - حيث تعجّب:

(عجبت لمن يعجب بصورته ، ويختال فى مشيته ، وينسى مبدأ أمره ، إنما أوله لقمة ضمت إليها جرعة ماء .... وأما آخره فإنه يلقى فى التراب ، فيأكله الدود ، ويصير رفاتاً تسفيه السوافى .... هذا خبر البدن ، إنما الروح عليها العمل ، فإن تجوهرتْ بالأدب ، وتقومتْ بالعلم ، وعرفت الصانع ، وقامت بحقه ،فما يضرها نقص المركب ، وإن هى بقيت على صفتها من الجهالة شابهت الطين ، بل صارت أخسّ حالة منه ...) (٢) .

(١) الفوائد لابن القيم / ١٦٨ .

(٢) صيد الخاطر لابن الجوزي / ٣٠٧ .

ثم أن تنصت لوصيته :

إخواني : شـمّروا عن سوق الدأب فى سـوق الأدب ، واعتـبروا بالراحلين فكأنكم بمبسوط الأمل قد انقبض ، وبمشيد المنى قد انتفض .

ياساكن الدنيا تأهب وانتـظر يـوم الـفـراق

وأعد زاداً بالرحـيل فسوف يحدى بالرفاق

أين عـزائم الرجال ؟ ، أين صـرائم الأبطال ؟ ، تدّعى وتتـوانى ، هذا محال .

إشتاقكم ويحول العزم دونكمُ فادعي بُعدكم عنـى وأعتـذر

وأشتكى خـطراً بينى وبينكمُ وآية الشوق أن يُستصغر الخطر

إن هممت فبادر ، وإن عزمت فثابر ، واعلم أنه لا يدرك المفاخر من رضى بالصف الآخر. قال عمر بن عبد العزيز : خلقت لى نفس تواقة لم تزل تتوق إلى الإمـارة ، فلما نلتـها تاقت إلى الخلافـة ، فلما نلتـها تاقت إلى الجنة . (١) .

والله وحده الهادى إلى سواء السبيل ، والموفق للخير ، والعاصم من الزلات .

(١) المدهش لابن الجوزي / ٢٢٨ .

الفهرس

تقويم الذات 4

الواثق اللوام 5

مفصل التزكية يشعب طرق التردية 8

المصالح مبزلة الممالح 11

تواتر العقيدة 16

الأبواب العشرة فى سور مدينة الذات 18

١ – الترشيح الذاتى لمهمة دعوية ولمصلحة شرعية أوولاية دينية 18

٢ – إظهار الحق وشكر نعمة الله تعالى 19

٣ – الدفاع عن النفس 19

٤ – التعريف 22

٥ – ا لأمر بالمعروف والنهى عن المنكر 26

٦ – الانتصاب كقدوة 28

٧ – الإصلاح بين الناس 29

٨ – الوعظ والتذكير 29

٩ – مدح النفس أمام الأعداء 30

١٠ – التأديب 31

ضوابط مدح الذات 31

احتراز يقيك الاستدراج 39

النية والفراسة تغربلان الجزاف 44

الفـــــهرس 51

رقم الايداع : ٩٤/١٠٦٣٦
I.S.B.N 977-262-053-7

عيـــون الأعيـــان

دعاة الإسلام هم أعيان الجيل الحاضر ، لاجدال ، بما وهبوا من همة تحرص علي الاصلاح ، وتجرّد يعيد ضرب المثال .

ولهم تصدر هذه السلسلة ...

فلهم مع كل إشراقة جديدة .. تحية ...

إن هدف « رسائل العين » يتركز في كشف الآفاق الرحبة لفقه الدعوة ، وتجارب العمل الإسلامي ، وأنماط معاناة المربين ، ووضع كل ذلك بين يدي شباب الصحوة الإسلامية ، تعليماً لهم ، وتمكينا .

لكن الأبعاد الحضارية مكملة لكل ذلك ، لأنّا نعيش حياة الانفتاح من جهة ، ونواجه حضارة مغايرة تَتَدَسّس بهدوء ولباقة أو تجاهر بالغزو ، من جهة أخري ، فكان لابد للداعية المسلم أن يسعي نحو الثقافة الشمولية وأنواع العلوم والفنون ليعلو فوق التيار مسيطراً مهيمناً ، وكان علي هذه السلسلة أن ترافقه في دربه الحضاري هذا ، تعين ، وتستكشف له ، وتُنبيه الخبر .

علي أن الاستقصاء في إيراد كلام الفقهاء ومراجع نصوصهم ليس من وسيلة هذه الرسائل ، وإنما هو الاستئناس والتبرك بأقوال السلف ، ولانري أن يلزمنا داعية مألزمته الجامعات أصحاب البحوث ، وإنما نهتم نحن بالتعليل والقياس والتأويل ، مما يوجب علي الممارس التأمل في عباراتنا علي ضوء واقع العمل الإسلامي ، وأن يدرك المعاني التي نذهب إليها من خلال الإشارات والمجاز .

فقرر أن تكون حَسَن المطالعة والاستيعاب ، بمقابل ماترجوه منّا من حُسْن الكتابة والاختيار ، وكرر المطالعة : يؤذن لك بمزيد فهم ، وقدّم نسخا أخري من هذه الرسائل هدية إلي إخوان لك : تنتشر الفوائد ، ويروج مذهبك في الاصلاح ، ويقتنع بمثل قناعتك عدد أوفر ، فتكون النتيجة أقرب .

ثم سبّح معنا ربّاً هاديا ..... ونصيراً

دار البشير للثقافة والعلوم
طنطا : أمام كلية التربية النوعية
ت 322404 فاكس : 331800 . 228277

وكلاء التوزيع بالدول العربية

بالمملكة المغربية
دار الإعتصام للطباعة والنشر والتوزيع
35 . 33 الشارع الملكي (الأحباس) الدار البيضاء
هاتف : 304285 فاكس : 444539

بدولة فلسطين
مكتبة اليازجي
غزة ش الوحدة ☎ 867099 07
فاكس 867099 07